تفسير إبن كثير

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ج سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ

يقول تعالى : وما قدر المشركون الله حق قدره ، حين عبدوا معه غيره ، وهو العظيم الذي لا أعظم منه ، القادر على كل شيء ، المالك لكل شيء ، وكل شيء تحت قهره وقدرته .قال مجاهد : نزلت في قريش . وقال السدي : ما عظموه حق عظمته .وقال محمد بن كعب : لو قدروه حق قدره ما كذبوه .وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس [رضي الله عنهما] : (وما قدروا الله حق قدره) هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله [تعالى] عليهم ، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير ، فقد قدر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره .وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة ، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف .قال البخاري : قوله : (وما قدروا الله حق قدره) حدثنا آدم ، حدثنا شيبان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : جاء حبر من

الأحبار إلى رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فقال : يا محمد : إنا نجد أن االله - عز وجل - يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع . فيقول : أنا الملك . فضحك رسول االله - صلى االله عليه وسلم - حتى بدت نواجذه ، تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : (وما قدروا االله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية .و [قد] رواه البخاري أيضا في غير هذا الموضع من صحيحه ، والإمام أحمد ، ومسلم ، والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما ، كلهم من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، عن إبراهيم عن عبيدة ، عن [عبد االله] ابن مسعود - رضي االله عنه - بنحوه .وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم عن علقمة ، عن عبد االله - رضي االله عنه - قال : جاء رجل إلى النبي - صلى االله عليه وسلم - من أهل الكتاب ، فقال : يا أبا القاسم ، أبلغك أن االله [تعالى] يحمل الخلائق على إصبع ، والسماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والثرى على إصبع ؟ قال : فضحك رسول االله - صلى االله عليه وسلم - حتى بدت نواجذه . قال : وأنزل االله -

عز وجل - : (وما قدروا االله حق قدره) إلى آخر الآية .وهكذا رواه البخاري ، ومسلم ، والنسائي - من طرق - عن الأعمش به .وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن حسن الأشقر ، حدثنا أبو كدينة ، عن عطاء عن أبي الضحى ، عن ابن عباس قال : مر يهودي برسول االله - صلى االله عليه وسلم - وهو جالس فقال : كيف تقول يا أبا القاسم : يوم يجعل االله السماء على ذه - وأشار بالسبابة - والأرض على ذه ، والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه - كل ذلك يشير بإصبعه - قال : فأنزل االله - عز وجل - : (وما قدروا االله حق قدره) الآية .وكذا رواه الترمذي في التفسير عن عبد االله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن محمد بن الصلت ، عن أبي جعفر ، عن أبي كدينة يحيى بن المهلب ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح ، به ، وقال : حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .ثم قال البخاري : حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا الليث ، حدثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن : أن أبا هريرة - رضي االله عنه - قال : سمعت رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يقول : يقبض االله الأرض ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض "

.تفرد به من هذا الوجه ، ورواه مسلم من وجه آخر .وقال البخاري - في موضع آخر - :

حدثنا مقدم بن محمد ، حدثنا عمي القاسم بن يحيى ، عن عبيد االله ، عن نافع ، عن

ابن عمر ، عن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال : " إن االله يقبض يوم القيامة

الأرضين على إصبع ، وتكون السماوات بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك " .تفرد به أيضا من

هذا الوجه ، ورواه مسلم من وجه آخر . وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ

آخر أبسط من هذا السياق وأطول ، فقال :حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا

إسحاق بن عبد االله بن أبي طلحة ، عن عبيد االله بن مقسم ، عن ابن عمر أن رسول االله

- صلى االله عليه وسلم - قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر : (وما قدروا االله حق قدره

والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون

) ورسول االله - صلى االله عليه وسلم - يقول هكذا بيده ، يحركها يقبل بها ويدبر : " يمجد

الرب نفسه : أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم " . فرجف برسول

االله - صلى االله عليه وسلم - المنبر حتى قلنا : ليخرن به .وقد رواه مسلم ، والنسائي ،

وابن ماجه من حديث عبد العزيز بن أبي حازم - زاد مسلم : ويعقوب بن عبد الرحمن ،

كلاهما عن أبي حازم ، عن عبيد االله بن مقسم ، عن ابن عمر ، به ، نحوه .ولفظ مسلم - عن عبيد االله بن مقسم في هذا الحديث - : أنه نظر إلى عبد االله بن عمر كيف يحكي النبي - صلى االله عليه وسلم - قال : يأخذ االله سماواته وأرضيه بيده ويقول : أنا الملك ، ويقبض أصابعه ويبسطها : أنا الملك ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني لأقول : أساقط هو برسول االله - صلى االله عليه وسلم - ؟ .وقال البزار : حدثنا سليمان بن سيف ، حدثنا أبو علي الحنفي ، حدثنا عباد المنقري ، حدثني محمد بن المنكدر قال : حدثنا عبد االله بن عمر [رضي االله عنهما] ، أن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قرأ هذه الآية على المنبر : (وما قدروا االله حق قدره) حتى بلغ : (سبحانه وتعالى عما يشركون) ، فقال المنبر هكذا ، فجاء وذهب ثلاث مرات .ورواه الإمام الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير ، عن عبد االله بن عمرو ، وقال : صحيح .وقال الطبراني في المعجم الكبير : حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العتبي ، حدثنا حيان بن نافع بن صخر بن جويرية ، حدثنا سعيد بن سالم القداح ، عن معمر بن الحسن ، عن بكر بن خنيس ، عن أبي شيبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن جرير قال : قال رسول

االله - صلى االله عليه وسلم - لنفر من أصحابه : " إني قارئ عليكم آيات من آخر سورة الزمر ، فمن بكى منكم وجبت له الجنة " ؟ فقرأها من عند قوله : (وما قدروا االله حق قدره) ، إلى آخر السورة ، فمنا من بكى ، ومنا من لم يبك ، فقال الذين لم يبكوا : يا رسول االله لقد جهدنا أن نبكي فلم نبك ؟ فقال : " إني سأقرؤها عليكم فمن لم يبك فليتباك " . هذا حديث غريب جدا .وأغرب منه ما رواه في المعجم الكبير أيضا : حدثنا هاشم بن مرثد ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثني ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " إن االله تعالى يقول : ثلاث خلال غيبتهن عن عبادي ، لو رآهن رجل ما عمل سوءا أبدا : لو كشفت غطائي فرآني حتى يستيقن ويعلم كيف أفعل بخلقي إذا أتيتهم ، وقبضت السماوات بيدي ، ثم قبضت الأرض والأرضين ، ثم قلت : أنا الملك ، من ذا الذي له الملك دوني ؟ ثم أريتهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير ، فيستيقنوها . وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ، ولكن عمدا غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون ، وقد بينته لهم " .وهذا إسناد متقارب ، وهي نسخة تروى بها

أحاديث جمة ، واالله أعلم .